٥ ـ معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

أسباب الحرب

لقد ظهر لنا من المباحث السابقة أن الطليان اعتبروا الحبشة مستعمرة طليانية ، وحملوا الدول الأوربية على الاعتراف بذلك بعد نشرهم المعاهدة وذيولها ، واستفادوا من حاجة البريطانيين اليهم فتقدموا إلى كاسيلا واستولوا قبل ذلك على عدوى

ومع أن منليك كان يتظاهر بعدائهم عنـــد منحه امتياز السكة الحديدية للفرنسيين وإذابته العملة النقدية التي ضربها الطليان في بلادهم لم يتمكن الطليان من التضييق عليه لأنهم كانوا مكلفين بمساعدة البريطانيين في قتالهم المهدي ، ولم يرض البريطانيون بأن يترك الطليان جبهة السودان ويتقدموا بقواتهم على الأحباش

والحقيقة أن السياسة البريطانية من حيث أهدافها العامة لم ترغب ألبتة في توسع نفوذ الطليان في الحبشة وتوطيد كلمتهم فيها لأنها كانت ترى إلى احتلال مصر والسودان والمحافظة عليهما بترك حراسة جبال الحبشة بيد أهلها الأحباش

أما النجاشي منليك فكان يرمي إلى توحيد المملكة وتقويتها ثم اعلان استقلالها للعالم . ولا شك في أن رغبة الطليان في توطيد نفوذهم في الحبشة وسعي نجاشي الحبشة لاستقلال البلاد أديا حتما إلى الاختلاف بين ايطاليا والحبشة برغم المعاهدة وذيولها

وسنرى كيف حدث هذا الاختلاف قادي إلى الحرب بينهما . والحقيقة هي أن بريطانيا لم تكد تقض على حركة المهدي فتبقى ايطاليا حرة في العمل إلا وشرع الطليان يحشد قواتهم في مستعمرة أريترة للتوغل في بلاد الحبشة

ولما تأكد منليك من قدرة جيشه البالغ عدده زهاء ١٤٥٠٠٠ أعلن استقلال الحبشة الى جميع الدول . ولمجاملة ايطاليا طلبت ألمانيا وفرنسا من النجاشي أن يرسل هذا البلاغ بواسطة ايطاليا

فبلغ منليك ملك ايطاليا أن المادة السابعة عشرة من معاهدة أوكسالي لا ترغمه على توسيط ايطاليا في جميع علاقاته بالدول الأوربية ، والنص الحبشي من المعاهدة صريح في هذا الباب ، فهو يخول للنجاشي حق طلب التوسيط إذا أراد ذلك . لذلك رجا من ملك ايطاليا أن يخبر الدول الأوربية بذلك لكي لا يحدث سوء تفاهم في المستقبل

والواقع أن المعاهدة كانت مكتوبة باللغة الأمحرية والمادة السابعة عشرة منها تنص على ما يلي : « جلالة امبراطور الحبشة مختار في استخدام الوكلاء الطليان » . أما الطليان فلما ترجموا المعاهدة إلى لغتهم وضعوا كلمة « الاجبار » بدلا من « الاختيار » فجاء النص الطلياني كما يلي : « جلالة امبراطور الحبشة مكلف باستخدام الوكلاء الطليان »

فانتبه الساسة الطليان الى خطئهم ، فلما تيقنوا أن القلم لم يجد نفعاً في الحصول على رغباتهم في بلاد الحبشة قرروا استخدام السيف ، مع أن منليك لم يرغب في الحرب في تثبيت علاقاته بايطاليا . فتظاهر الفرنسيون بالولاء للطليان ، بينما كانوا في الخفاء يؤيدون النجاشي ، لأن توسع نفوذ الطليان في بلاد الحبشة يخالف مرماهم . وكان الحاكم الفرنسي في المستعمرة الصومالية هزة الوصل

وبراعته ، وحذقه ومهارته ، وكيف يرفع من يبغى أن يرفعه ويخفض من يريد أن يضعه ، ومن هنا لا تعد كتب الفتح كتب تراجم بالمعنى المعروف ، وانما هي بكتب المختارات أشبه . أما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو وإن كان أكثر تقييداً وعلما مفيدا ، واطنابا في الأخبار ، وامتاعا ـ من هذه الناحية ـ للأسماع والأبصار ـ كما يقول الحجاري ـ وإن كان أقل تزويقا وتهويلا وإن كان أعف لسانا ، وأزهد بيانا ، إلا أنه هو الآخر يقارب الفتح في اغفاله تاريخ من ترجم له مولدا ووفاة ونسبا وبلدا ومنشأ ، ومَثَل الاثنين في ذلك مثل الثعالبي صاحب يتيمة الدهر ، ومثل الثلاثة العماد الكاتب صاحب خريدة القصر وجريدة أهل العصر والباخرزي صاحب دمية العصر وعصرة أهل العصر ، كل أولئك يجترئون ببلاغتهم عن تحقيقاتهم ، فكانت كتبهم لذلك نوعا غريبا بين أسفار الأدب في لغة العرب ، فلا هي بالمختارات المحضة ولا هي بالتراجم الوافية ، ولا هي من قبيل العقد والكامل وما اليهما . ولعل أول من ابتكر هذا النوع هو الثعالبي

« للقصة بقية »

عبد الرحمن البرقوقي

بين الحكومة الفرنسية والحكومة الحبشية ، أما الحكومة الروسية فلم تعترف بالمعاهدة وكانت تساعد الحبشة بارسال الضباط وأصحاب المهن والرهبان والسلاح اليهم

فرأى رئيس الحكومة الطليانية « كريسبي » إرسال رجل محنك الى بلاط النجاشي عسى أن يقنعه ويزيل الخلاف . فأرسل الكونت « انطونلي » إلا أن هذا لم يتمكن (رغم ذلاقة لسانه ووعيده) من اقناع منليك الذى كان جوابه للوزير الطليانى ما يلى :

« مادام قد حدث غلط فى نص المادة السابعة عشرة فالأولى أن نلغيها تماما ، ولنتذاكر من جديد على نص المعاهدة ؛ ثم إن بلادى تحتاج إلى منفذ إلى البحر فلنقرر هذا أيضا »

ولم يغير منليك رأيه ولم يحد عن فكره . فكان فى جميع مذاكراته مع الوزير المفوض يؤيد هذا الطلب عينه . وأخيراً بلغ الحكومة أن المادة السابعة عشرة من المعاهدة ملغاة . وفى الوقت عينه أعاد الأربعة ملايين فرنك اليها . وكان من نتيجة ذلك أن توترت العلاقات بين ايطاليا والحبشة وانتهت الى الحرب

ساعة الحركات

تقرب سلسلة الجبال من مصوع وتسيطر على سهلها الضيق وفى امتدادها الى الشمال تكون موازية للشاطىء . أما فى امتدادها إلى الجنوب فتبعد عنه ، وتتكون منها صحراء الدنا كل التى تشح المياه فيها ، وهذه الصحراء وعرة ذات مفازات ووديان ورواب

وهذه السلسلة ذاتها تتصل بالسلاسل الأخرى التى تتكون منها معاقل الحبشة الداخلية

جرت الحركات على طرق الحدود فى جنوبى « أمحرة » عاصمة أريترة بعد مصوع . والأرض فى هذه المنطقة جبلية وهى واقعة على سفوح السلسلة الأولى التى تؤلف الضلع الغربى للمثلث ، والارتفاعات فيها تتفاوت بين ١٥٠٠ و٢٥٠٠ متر . والانحدارات فى السفوح الشرقية على ما نعلم مائلة شديدة الوعورة ، وتسلقها صعب ، والأرض متقطعة بوديان وفيها وهاد ومضايق . والروابى يعلو بعضها بعضاً ، والكثير منها مكسو بالغابات والأحراج . أما الطرق فمسالك وعرة يصعب على الحيوانات المحملة السير فيها

والمنطقة بأجمعها تصلح للدفاع أكثر منها للهجوم . ولا تمكن الحركة فيها بقوات كبيرة ما لم يكن السير فيها بأرتال مختلفة متباعدة تفرقها الوديان والمضايق عن بعضها فتصعب المواصلة بينها . وفضلا عن ذلك فالمياه فيها شحيحة ومواد الاعاشة قليلة ، الأمر الذى يقتضى تجهيز القوات بوسائل النقل الكثيرة والسير فيها يقتضى بطبيعة الحال اتخاذ تدابير الحماية . لذلك لا يجوز أبداً تطويل الأرتال لأنها تمسى أهدافا ملائمة للمباغتة . والخلاصة أنها من أفضل الأراضى الصالحة للحروب الصغرى بالكمين والمباغتة فهى من هذه الوجهة تفيد الأحباش الذين يعرفونها حق المعرفة ويعلمون بنجدها وغورها فضلا عن تعودهم على اقليمها

والطرق التى تربط مستعمرة اريترة بهذه الساحة تبدأ من ساحل البحر وتمتد الى الجنوب الغربى فالى الجنوب ، منها طريق شمالى يبدأ من مصوع ويمر بأمحرة بعد أن يتسلق الجبال ويدخل الهضبة . وارتفاع امحرة ٢٣٧٢ متراً . وقبل أن يقطع نهر مأرب الفاصل للحدود يمر بقرية «غوندت» ثم يصل الى عدوة وارتفاعها ١٩٦٥ مترا وهى واقعة بالقرب من أكسوم والى شرقيها

والطريق الثانى يبدأ من زولا على خليج عدولى . وبعد أن يمر بقريتى « حلبى » و « كوانيت » يقطع الحدود الى جنوبى سنافة ويصل الى قامة ادجرات وهى من المراكز الحبشية الخطيرة ، فيتوجه الطريق بعد ذلك الى الجنوب ويمر بقلعة « مكا » الى أن يصل الى « هرر » ويجرى فى هذه الساحة تابعا نهر عطبرة وهما مارب وتكاسه

ومن جملة الأهداف التى كان يتوخاها الطليان فى حركاتهم استمالة الرؤوس الى جانبهم واثارة الحروب الداخلية فى الحبشة لكى يسهل عليهم التغلب على العدو

فكانوا على اتصال برأس مقاطعة تيجرى ، وبعد هذه المقاطعة تأتى مقاطعة أمحرة الداخلية ، وفى جنوبيها مقاطعة شوا المختصة بالنجاشى ، وهى خلف مقاطعة غوجام الداخلية ، وفى جنوبى هذه المقاطعات أرض الغالا فى منتهى البلاد الحبشية

فيتضح من ذلك أن الحركة يجب أن تجرى بمراحل لاحتلال المقاطعات على التوالى ، وهذه المقاطعات جميعاً وعرة منيعة

قوات الفريقين — الجيش الحبشى

استخدم الطليان رئيساً لتجسس أحوال الحبشة وبالنظر إلى المعلومات التى توصل إليها هذا الضابط من أن أنفس مقاطعات تيجرى وأمحرة وغوجام زهاء ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة . أما أنفس

مقاطعة شوعا وحدها فتبلغ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وهذا مما يجعل لهذه المقاطعة مركزاً خطيراً يتجلى بحكمها على المقاطعات الأخرى

ولما لم يكن للحبشة جيش منظم فمن البديهي أن تقدر القوات بالرجال المسلحين الذين تجهزهم المقاطعات المذكورة وعلى هذا الأساس تبلغ قوة الجيش ما يلي :

رجل	
٢٠,٠٠٠	جيش تيجرى
٣٥,٠٠٠	جيش امحرة
٢٠,٠٠٠	جيش غوجام
٧٠,٠٠٠	جيش شوعا
١٤٥,٠٠٠	المجموع

ونقصد بالجيش القوة الجاهزة التي يستطيع أن يستخدمها الرأس أو ملك المقاطعة ، متى شاء بمعنى أنها مستعدة للعمل في كل وقت . أما عند الاقتضاء فيمكن إخراج قوات أخرى بكل سهولة لأن الأحباش جميعاً جنود بالطبع لا فرق بين شابهم وشيخهم .

أضف إلى ذلك مقاطعة الغالا وعاصمتها هرر التي تبلغ نفوسها زهاء ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ومع أنها بعيدة عن ساحة الحركات إلا أنها تستطيع أن تجهز جيش النجاشي بالخيالة .

ولدى الجيش الحبشي أربعون مدفعاً على أنواع مختلفة . والأحباش جنود بالطبع فيتحملون السير الطويل دون تعب ، ويعسكرون ويسيرون بلاجلبة ولاضوضاء ، ويحصلون على معيشتهم بالتكاليف الحربية ولا يستخدمون وسائل لذلك . فالجندي يحمل أرزاقه معه وهي مقدار قليل من الذرة . والأرزاق التي تكفي الجندي الأوربي ثلاثة أشهر يعيش بها الحبشي سنة كاملة . فالحبشي من هذه الجهة قانع بما يتيسر له .

والوحدة السوقية في الجيش الحبشي هي الفرقة أو القوة التي يخرجها الرأس أو الملك . وهذه القوة تختلف باختلاف مساحة مقاطعة الرأس أو الملك فيتفاوت مقدارها بين ٥٠٠٠ و١٠٫٠٠٠ رجل أو أكثر

والملك أو الرأس يجهز جنوده بالسلاح والحكومة تمده بالسلاح والعتاد عند الاقتضاء . ومع ذلك نرى أن بعض جنود الأحباش يدبر بنفسه أمر سلاحه وعتاده .

وقد علمنا أن الطليان دون أن يحسبوا حساب المستقبل جهزوا النجاشي بأسلحة حديثة فمنحوه ٥٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٫٠٠٠ طلقة في المرة الأولى و ٣٨٠٠٠ بندقية و ٢٨ مدفعاً في المرة الثانية . أما البريطانيون فكانوا قد أهدوا الى رأس تيجرى ٩٠٠ بندقية . وإذا أضفنا الى ذلك السلاح الذي استطاع أن يشتريه منليك في المدة الأخيرة علمنا أن لدى الأحباش عدداً كبيراً من البنادق الصالحة للاستعمال

ومن عادة النساء الحبشيات أن يرافقن الجيش فيحملن مواد الاعاشة والماء لرجالهن ويهيئن الطعام لهم في المعسكر ويداوين الجرحى ويشجعن الجنود على القتال

أسلوب التعبئة عند الأحباش

يمتاز الأحباش بالهجوم السريع وبالشدة . ويحسن المشاة الرمي فلا يطلقون النار إلا من مسافات قريبة حرصاً على ذخيرتهم ، وعندما يقتربون من أعدائهم يحملون عليهم صارخين فيستعملون سيوفهم العريضة في الحملة وجهاً لوجه ، وبرغم وعورة الأرض يحسن الأحباش الركوب . وإذا ما وقع في أيديهم بغل أو جواد ينقلب المشاة حالاً إلى خيالة ، ويسير المشاة بسرعة . ويستخدم الأحباش على الأغلب الخيالة في الجنبة ، وذلك للالتفاف حول العدو وقطع خط الاتصال عليه وإذا ما انتصروا عليه قضوا عليه القضاء المبرم بقتل رجاله جميعاً . أما في الدفاع فيحسن الأحباش الاستفادة من الأرض ويعمدون إلى الكمون والمباغتة بنجاح

الجيش الطلياني

يتألف الجيش الطلياني من القوات الطليانية والأهلية المرابطة في مستعمرة أريترة والقوات التي يمكن جلبها من إيطاليا

واستخدم الطليان في بادىء الأمر السودانيين والصوماليين وبقايا الجنود المصريين في المستعمرة بعد أن جعلوا نواة القوة من الطليان

وكانت القوة بعد الاحتلال بثلاث سنوات مؤلفة من ألفي جندي ، وفي سنة ١٨٩٤ نسق الطليان جيش المستعمرات بتأليفه من وحدات طليانية ووحدات أهلية بقيادة الضباط وبعض ضباط الصف الطليان

وكانت القوة الطليانية في بادىء الأمر مؤلفة من فوج مشاة وفصيل مدفعية . أما القوات الأهلية المختلطة فكانت مؤلفة من بطارية وفصيل هندسة ووحدة درك وجنود نقلية

(يتبع)

طه الهاشمي